

الإصلاح الديني *

المقترح على مقام الخلافة الإسلامية

تكلمنا في العدد الماضي على أهم أركان الإصلاح الإسلامي وهو التوحيد في العقائد والتعاليم الأدبية والأحكام القضائية والمدنية واللغة وقتنا إن هذا الإصلاح يتوقف على تأليف جمعية إسلامية على الوجه الذي ذكرناه وإنما التوقف بالنسبة لكمال الإصلاح وسرعة إنجازه وتعميمه حتى في الأحكام وفي جميع الشعوب الإسلامية كما هو ظاهر لا بالنسبة لأصل الإصلاح وإن كان بطيء السير وغير شامل لجميع الفروع وقد وعدنا بأن نذكر بعد التواحييد الثلاثة أهم ما يناط بالجمعية وشعبها من الأعمال (وهي ثلاثة) وأهم نتائجها وإنجازا للموعود نقول

العمل الأول تلافي البدع والتعاليم الفاسدة قبل انتشارها

لوتنبه الخلفاء لهذا العمل من القرون الأولى وهو أهم وظائف الخلافة لما انتشرت التعاليم الباطلة التي زعزعت العقائد وأفسدت الآداب ولبست المسلمين شيئا وأذاقت بعضهم بأس بعض ولا تزال هذه التعاليم تنجم كقرون الممزق تزيد الأمة تفرقا فان المذاهب التي حدثت في هذا القرن من فروع الباطنية قد انتشرت بسرعة غريبة استلقت أنظار الامم المنتبهة وان عي عنها الذين لا يبصرون ، وصم عنها الذين هم عن السمع معزولون ، لا اعتقادهم ان التربية والتعليم لا يفيدان وانه لا يؤثر في الأمة إلا الملوك والحكام . وان تعاليم أخرى باطلة تنشر بين المسلمين آنا بعد أن منها ما يزعم العقائد ومنها ما يفسد الآداب ويجري على استباحة المحظورات وتلقاها العامة — وأكثر الناس عامة لا علم لهم بالدين — بالقبول ويكون لها أقبح الأثر في أعمالهم وأخلاقهم

أذكر منها الآن شيئاً واحداً أطلقني عليه من عهد قريب بعض الإخوان المتنبئين وهو دعاء طبعه « عبد اللطيف القباچ » المقيم في مصر ووزعه بجانا ليم نشره وسماه « دعاء سيدي عبد الله ابن سلطان » صدره واضعه بمحدث مكذوب على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ملخصه ان رجلا من الصحابة اسمه محمد بن سلطان « كان يفعل القبيح ويشرب الخمر ويداوم على الفسوق والفجور وكان لا يصلي ولا يصوم ولا يتصدق ولا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر » إلا أنه كان يقرأ استغفاراً في أول شهر رجب فلما حضرته الوفاة نزل جبريل على النبي يبلغه أمر الله بحضور وفاته وتجهيزه ففعل ووجد الملائكة والحرور العين قد اجتمعوا صفوفاً لا يحصي عددهم إلا الله يحضرون جنازته ولما وقف النبي عليه السلام على سبب ذلك من زوجته وأنه الاستغفار الذي ذكر آنفاً أمر علياً كرم الله وجهه بكتابتها وقال « من قرأ هذا الاستغفار أو جعله في داره أو متاعه أو حمله معه في سفره جعل لله له ثواب ثمانين ألف ملك و ثواب ثمانين ألف صديق و ثمانين ألف شهيد و ثمانين ألف كذا وكذا ومن قرأ هذا الاستغفار في عمره مرة واحدة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وليس عليه حساب ولا عقاب و بني له ألف قصر في الجنة في كل قصر ثمانون ألف حجرة في كل حجرة ثمانون ألف سرير على كل سرير حورية من الحرور العين وشجرة تظللها وفيها ثمانين ألف ورقة كل ورقة مثل الدنيا ومن قرأ هذا الاستغفار في عمره مرة واحدة فإن الله تعالى يمطيه ثواب أهل مكة والمدينة وبيت المقدس وان مات أمر الله سبعين ألف ملك يشيعون جنازته واذا قام من قبره يوم القيامة يضيء وجهه مثل القمر فيقول الخلائق هذا نبي مرسل أو ملك مقرب فيقول جبريل لا ورب الكعبة لا نبي ولا ملك بل هو عبد من بني آدم أكرمه الله بقراءة هذا الاستغفار ثم يأتي الجنة فيدخلها بغير حساب ولا عقاب » ثم يذكر له فوائد دينوية ويختم الكلام بقوله « ومن شك في ذلك فقد كفر » يعني من شك في هذا الحديث الموضوع لهدم الدين وإبطاله بالمرة وإباحة جميع المحرمات فهو كافر وبعبارة أخرى من شك في الكفر الحقيقي وهو ما ذكرناه من فوائد الاستغفار فهو كافر في عرفه واصطلاحه (نعوذ بالله)

ما الذي أثار هذه الاوصاف في ذهن واضع هذه الفرية وما الذي أغواه حتى وضع هذه الاضلولة ؟ آثارها في خاطره موضوعات أخرى من قبيلها تلقي بعضها من الدفاتر وبعضها من خطباء المنابر وأقربها إلي فنته ما يسمونه « دعاء عكاشة » وهو مطبوع تتداوله الأيدي وتقرأه الألسن ويتخذها الناس عوذة « حجاباً » للحفظ من الشياطين ومن الامراض وهو أكذوبة موضوعة كذبها على النبي عليه السلام بعض الدجالين المضلين كواضع هذا الاستغفار

وأخف من ذلك في الاضلال والاعواء ومثله في الكذب على سيد الانبياء ما نسمعه من خطباء الجهل والفتنة من الغلو في مدح الشهور وبيان فضائلها ومنها أحاديث كثيرة في صوم رجب ومنها الحديث المشهور عند الخطباء في فضل رمضان وهو « إن الله يعتق في كل ليلة من رمضان ستمائة ألف عتق من النار فاذا كان آخر ليلة منه أعتق بقدر ما مضى » ويروي بغير هذه الالفاظ وهو موضوع لا أصل له وما يحسن التنبيه عليه هنا كيلا يفتخر به الجهلاء ان جريدة طرابلس التي تدعي خدمة الدين قد أولت هذا الحديث بما حسب صاحبها انه يقر به من الافهام « وما هدم الاديان إلا تأويل الأباطيل » لانه مع كذب روايته بعيد عن التعقل وفي تأويله غش ، للامة بتصديقه والاعتزاز بوعده الذي يستلزم عتق جميع أفراد الامة من النار وعدم مؤاخذه أحد منهم بذنب فيما يتبادر إلى الاذهان ونعوذ بالله من الخذلان « وسنوفي هذه المسائل حقها من البحث في مواضعها ان أهل الزمان ووفق الرحمن »

تراقب الجمعية بواسطة أفراد شعبها جميع المطبوعات كما تراقب دعاة الفتنة وكلما وقفت على شيء من البدع والأباطيل تنبه عليه في جرائدها وتوعز الى الخطباء والمدرسين بالتنبيه عليه والتحذير منه وبذلك يقف تسياره ويمتنع انتشاره

العمل الثاني اصلاح الخطابة

الخطابة ركن من أركان العبادة في الديانة الاسلامية . ومن وقف على ما لها من الأثر الحميد في الأمم المتمدنة وما لها من الشأن في جمع كلمتهم وتأليف قلوبهم

وتنشيطهم إلى العمل في إسعاد أمتهم ووطنهم فقه سر جعلها من أركان العبادة المشروط فيها الاجتماع . وقد مات روح الخطابة في المسلمين وصار هذا الركن وسما ماثلا بل يكاد يكون دارسا بل صارت الخطابة وظيفة يقصد بها التعيش فنقاط بالجمال وتعال بالوراثة مع أنها وظيفة الامام الاعظم أو نائبه وإنما كانت كذلك لأن من شأن هؤلاء أن يكونوا عارفين بمصالح الأمة واقفين على سائر شؤونها وأصحاب الكلمة المسموعة والسلطة النافذة فيها . ولا سعة في هذا المقام لتوفية هذا الموضوع حقه فنوجه لفرصة أخرى ونكتفي بالإشارة إلى عمل الجمعية فيه وهو أمران أولهما تأليف خطب في مصالح الأمة تطبع وتوزع على الخطباء الذين لا يحسنون الخطابة بأنفسهم وهم الأكثرون ويأمر الخليفة بأن يخطب بها دون سواها إلى أن يوجد خطباء حقيقيون والأولى أن نجد هذه الخطب كل عام . والثاني تعيين الطريق لتحصيل ملكة الخطابة ليسلكه كل مرشح لها فيكون خطيبا مصقعا طبعا لا تكلفا ولا يوجه الامام هذا المنصب على أحد إلا بعد اختياره من شعبة الجمعية التي في بلاده بأن تقترح عليه أن يخطب في مواضع مختلفة على البداة والشهادة له بالأجادة

العمل الثالث الدعوة إلى الدين

نعني بالدعوة إلى الإسلام ما يشمل الدعوة إلى أصل الدين والدعوة إلى فضائله وآدابه وأعماله التي تؤدي إلى سعادة الدارين ويدخل في هذا النهي عن المنكرات والفواحش . وإن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم دعائم الديانة الإسلامية وسنفردها مقالات خاصة إن شاء الله تعالى

من قرأ التاريخ الحديث علم أن المسلمين الضارين في أحشاء افريقية ويعدون بعشرات الملايين ما تناولوا الدين الإسلامي بدعوة من العلماء والخطباء ولا اعتقوه بإلزام من الملوك والأمراء وإنما دخل بلادهم بمض التجار والمخترفين من نحو مزين وحجام قرأوا منهم ثيابا وأبدانا نظيفة ، ونفوسا عفيفة ، وسجايا شريفة ، واعتقادات مقبولة ، وفضالا جميلة ، فقلدوهم مختارين ، ودخلوا في دينهم طائفين ،

من وقف على هذا وعلى الأسباب الصحيحة لا تتشاور الدين الاسلامي في كل قطر وكل عصر من العصور تجلى له أن هذا الدين لو وجد له دعاة كدعاة الاديان الأخرى لما بقي للوثنية هيكل يقصد ، ولا صنم يعبد ، ولظل الناس يدخلون فيه أفواجا من جميع الملل حتى لا تكون فتنة . ويكون الدين كله لله . ولكن أهله لم يكتفوا بعدم الدعوة اليه بل أوقفوا سيره بأقوالهم وأعمالهم المخالفة لهديه . فاذا وفق الله المسلمين للاستعداد للدعوة كما تستعد الدعوة من الملل الأخرى وطافوا بلاد الله مبشرين ومنذرين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر كما أمرهم الكتاب العزيز - رأيت للاسلام شأنا عظيما وانتشار عريما . ان وجود الجمعية التي تتكلم عنها يكون عوننا عظيما للوصول الى هذه الرغبة ولكن لا يتوقف عليها الا في كماله

اهم نتائج أعمال الجمعية

اذا تحققت الآمال ، ونجحت هذه الاعمال ، فلاريب ان الحكومات الاسلامية يتقرب بعضها من بعض وتظهر فيهم الاخوة الاسلامية ويتحدون على صد هجمات أوروبا عنهم وإيقاف مطامعها عند حدود معينة ولا يمنع اختلاف المذاهب من ذلك بعد ما قررناه ولا يصعب على السلطان الاعظم أن يأذن للشيعه باقامة امام لهم في مكة المكرمة اذا توقف الاتحاد والالتام على ذلك . ولقد كان للعثمانيين في ذلك من الالباء المنبعث عن تعصب بعض شيوخ الاسلام وجهله بسياسة الملة ما رعى هاتين الدولتين الاسلاميتين «العثمانية والارانية» بالانفصام والافتراق ، بعد وشك الاعتصام والاتصاق ، أما حرص كل ملك وأمير على كمال الاستقلال في بلاده وامتناعه من الاعتراف للآخر بالرئاسة الدينية فهو من عقبات الاصلاح المطلوب ولكن الشعور العام بالخطر الذي يهدد الجميع بالافتراق مع الأمن من مس الاستقلال الاداري والسياسي يسهل على الجميع اسناد الرياسة الدينية لرفعهم مكانة واعلامهم منزلة واقوامهم دولة . وغاية هذا الاتحاد أن تكون هذه الدول كالدول المتحالفة بالنسبة للامور الخارجية وكالولايات المتحدة في الاصلاحات الداخلية كالتربية

والعجم ووحدة الاحكام والآداب واللغة ولو لم يتم ذلك الا في زمن طويل وان لا يكون لاحد منهم سيطرة في ملك الآخر أو امارته بل تسير كل مملكة وكل امارة في إدارة بلادها بأرشاد مجلس الشورى الذي ينتخبون أعضائه من عقلاء بلادهم . هذه اشارات مجملية في هذا المقام سنحت للخاطر ومتي وفق الله للعمل تنحل بأيدي القائمين به عقد كل إشكال ، وصحة القصد تهدي كل ذي ضلال ،

لاسلامة للجمعية الكبرى الا بسلامة البلاد الحجازية واغنائها عن الاجانب فيما تتوقف عليه حياة أهلها وقد قلنا في مقالة سابقة ان معظم قوت تلك البلاد يجلب اليها من مواني البحر الاحمر فاذا نسي مثل انكثرا الاستبداد فيه وحصر موانيه فان أهل الحجاز يموتون جوعا . فيجب على الدولة العلية على كل حال « وإن ذكرناه بمناسبة الجمعية التي اقترحناها » العناية الكبرى في عمارة تلك البلاد أولا بانشاء طريق حديدي من دمشق الشام الى مكة والمدينة والطائف وثانيا بتسهيل السبل لإحياء ما فيها من الاراضي الموات الصالحة للزراعة والانتفاع بالينابيع التي تفور في مكان وتفور في آخر ولا ينتفع فيها بري الارض وغرسها

هذه هي خدمة الحرمين الشريفين لا توزيع الصدقات على طوائف وقبائل مخصوصة فان قامت بها الخلافة الاسلامية والدولة العلية فان الاسلام يشكرها على ذلك بلسان كل آخذ به والا فان ركنا من أركان الدين على خطر الوقوع تحت سلطة الاجانب أو محوه وإعدامه بالمرّة (لا قدر الله تعالى) ونسأل الله تعالى وهو أكرم مسئول ان يؤيد خليفتنا ومليكنا ويوفق أمتنا الى كل ما فيه خير للملة وسعادة لأبنائها وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير

«وردت الرسالة الآتية لجريدة المؤيد الفراء فأوردناها بحروفها وذيلتها بما عندنا من الجواب على السؤال الذي ببيت عليه » وهي